# ( قِيَمُ الخطابِ الدعوي المؤثِّر ) من خلال سورة الأعراف

د. عبد الحق غانم سيف القريضي

أستاذ التفسير المساعد بكلية التربية أرحب -جامعة صنعاء

الملخص

موضوع الدعوة إلى الله من أهم المواضيع الدينية ولذلك فإن ترشيدها وترشيد خطابها من أهم الأعمال التي يمكن أن يسهم فيها الإنسان، وعليه فقد قمت بهذا البحث الذي يعرض قيم الخطاب الدعوي من خلال سورة الأعراف، وهو بحث في المنهجية الدعوية، وقد قمت بتقسيمه إلى أربعة مباحث، ومقدمة وتمهيد، وخاتمة، واحتوى كل مبحث على عدد من الفروع.

احتوت المقدمة على أسباب البحث ومنهجيته وخطته، واحتوى التمهيد على تعريف بالسورة وتعريف لمفهوم الخطاب الدعوي المؤثر، الذي هو عنوان البحث.

وفي المبحث الأول تكلمت عن القيم المنهجية للخطاب الدعوي، وهي الرشد والوضوح والحوار، وبينت بالأدلة كيفية ذلك من خلال السورة.

وفي المبحث الثاني تكلمت عن القيم اللفظية للخطاب الدعوي واستخلصت من السورة مبدأ القيمة اللفظية وبينت ظهور ذلك في السورة، ثم تكلمت عن تنوع الأساليب اللفظية من خلال السورة، ثم عن الصور والسياقات وكل ذلك في باب الألفاظ.

وفي المبحث الثالث تكلمت عن القيم الاجتماعية للخطاب الدعوي، وهي أهداف مهمة له في المجتمع وذكرت منها: القيم الإنسانية العامة التي لا يصح أن تهمل في أي خطاب دعوي، ثم قيم التعزيز الخلقي وهي مهمة للمجتمع بصورة أوضحتها السورة، ولا يمكن أن تتم الدعوة بدونها.

وفي المبحث الرابع تكلمت عن القيم العقلية، ذلك أن الدعوة تخاطب العقل السليم أولا لبناء التصور السليم، ومن ثم تنطلق إلى الجانب العملي الذي ينبني عليه، وقد بينت أن السورة أشارت إلى قيم الخطاب الدعوي مع العقل، وذكرت منها: العرض التاريخي، والنظر المصلحي والحجة والبرهان، وقد ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها توصيتين مهمتين ينبغي الاهتمام بها، وهي تصب في ترشيد الخطاب الدعوي في جانب التصور والتطبيق. ولا أدعي الإحاطة فذلك ليس من منهجية هذا البحث ولا من أهدافه.

وأخيرا أسأل الله أن ينفع بهذا البحث ويجعله من صالح الأعمال.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

فإن القرآن الكريم بحر واسع لا يدرك ساحله، وفيه في كل فن من العلم ـ خاصة العلم الشرعي ـ نظر واسع ويد طولَى، وقد أمر الله بتدبره والنظر فيه بعين البحث والاستهداء، ولن يَخِيبَ ناظرٌ فيه إذا أحسن النظر واستجلى العبر .

وكل إنسان يهبه الله علما وفهما يمكن له أن يستخرج به من القرآن ما يقدر عليه من غير تكلف ولا تعسف، في إطار ما يتحمله النص أو الخطاب القرآني الخالد.

والقضايا التي أهتم القرآن الكريم بها كثيرة ومن أهمها قضية الدعوة إلى الله، وقد ذكرها القرآن في مواضع كثيرة بجوانبها المتعددة، وكان تركيزه في كل موضع بحسب المقتضى والباعث.

ومن الجوانب الدعوية المهمة، جانب الخطاب الدعوي باختلاف وسائله؛ إذ هو باب الدعوة لتعريف الناس بها وبمبادئها وأهدافها وجوانبها ..

ولأهمية هذا الخطاب فإن الله تعالى قد أولاه عناية كبيرة في كتابه الكريم، واستمر في ترشيده طوال فترة نزول الوحي على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ونحن بحاجة ماسة إلى استجلاء هدايات ذلك الترشيد الدعوي حتى نهتدي بها في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه استعراض مناهج الدعوة، وعَلق بخطابها أوجهٌ من القصور من حيث الأداء والتطبيق ـ عند البعض ـ مما يقتضي النظر في إعادة بنائها على أسس سليمة وقِيَم راشدة وفق المنهج القرآني والنبوي، وهذه الأسس والقيم متوفرة في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وسوف أحاول استجلاء ما جاء منها في سورة الأعراف في هذا البحث المتواضع الذي أسميته: ( قِيَمُ الخطابِ الدعوي المؤثر من خلال سورة الأعراف). مع ملاحظة وجود مواضيع أخرى في السورة، دعوية وغيرها(١).

**أهداف البحث:**

توخيت من وراء كتابة هذا البحث تحقيق الأهداف التالية:

- الإسهام في تسديد منهج الخطاب الدعوي من خلال القرآن الكريم مصدر التأصيل الأول.

-الإسهام في تطوير الخطاب الدعوي المؤثر في ضوء هدايات القرآن الكريم.

ـ تنبيه الدعاة إلى ضرورة مراعاة التغيرات الزمانية والمكانية والأشخاص والأهداف في خطابهم الدعوي وفقا للمنهج القرآني الذي يؤصل لذلك.

(١) ـــ ألفت النظر هنا إلى أن القيم التي سأذكرها متوزعة على النماذج التي في السورة بصورة تكاملية، بحيث إننا قد نجد في قصة ما لا نجده في الأخرى.

ـ تجلية أسباب التأثر والتأثير للخطاب الدعوي، والإسهام في تحقيق مبدأ البلاغ المبين.

ـ تحفيز الباحثين لإثراء هذا الموضوع المهم وأمثاله.

ولا يخفى أن الموضوع يصب في الجانب المنهجي ولا تخفى أهمية هذا الجانب على الباحثين.

لماذا اخترت سورة الأعراف:

وقد كان اختياري لهذا البحث من خلال سورة الأعراف للأسباب التالية:

ـ كونها من السور المكية وفيها بيان واسع وكبير لجوانب من الخطاب الدعوي وقِيَمِه، وهي بذلك تؤسس للدعوة لدين الإسلام وتقعد للانطلاقة الدعوية في أول مراحلها..

ـ كونها أول سورة تذكر قصص الأنبياء ودعوتهم بذلك التفصيل(١)، وتذكر جوانب من خطابهم مع أقوامهم، ولا شك أن ذلك يمثل طرقا وتجارب ناجحة يستفاد منها في ترشيد الخطاب الدعوي، ولم تأت أخبارهم للقراءة والاطلاع وإنما للتمثل والاتباع، قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ الأنعام: ٩٠، فمنهجهم وسلوكهم وعملهم قد ارتضاه الله تعالى ومن سلكه فقد اهتدى(٢)، والاقتداء يعني: اتباع الأثر في القول والفعل والسيرة(٣).

ـ حصرا للموضوع، لأن القصد إنما هو بحث صغير يتناسب مع متطلبات المجلات البحثية.

**منهجي في البحث:**

سيتركز كلامي عن قيم الخطاب الدعوي المؤثر فقط، من خلال سورة الأعراف، وسأتبع في استنباط تلك القيم: المنهج الاستنباطي الوصفي، وذلك من خلال قراءة آيات السورة بعناية ثم استنباط الأفكار والقيم المناسبة للموضوع، في صورة متسلسلة ـ بحسب الخطة المذكورة ـ

وقد أذكر بعض وجوه القراءة البيانية للآيات أو أشير إليها في جوانب يسيرة تخدم البحث.

وسأكتفي بشواهد مما أفهمه من سياق السورة ولن أستوعب كل ما يمكن أن يكون شاهدا؛ فمقصدي التمثيل، وذلك كاف في إثبات ما أذهب إليه من قيم الخطاب، وقد تتكرر بعض الأمثلة لمعان أخرى

الدراسات السابقة:

---

(١) . انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، (٣/ ٨٧ ٨٨).

(٢). انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٥١٩/١١).

(٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ (٢/ ٣١٨).

ـ بحسب اطلاعي المتواضع لم أعثر على بحث في نفس الموضوع في سورة الأعراف، ولكن هناك كتب ألفت في مناهج الدعوة وأساليبها ومعالمها من خلال القرآن بصورة عامة، ومن خلال قصص القرآن، أو من خلال القرآن والسنة...بعضها رسائل علمية وبعضها كتب دعوية عامة.

**خطة البحث:**

والبحث يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهداف البحث وأسباب اختياري له، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه بيان مفهوم عنوان البحث." قِيَمُ الخطاب الدعوي المؤثر" ، وتعريف موجز بالسورة.

المبحث الأول: القيم المنهجية للخطاب الدعوي المؤثر. وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: الرشد.

الفرع الثاني: الوضوح.

الفرع الثالث: الحوار.

المبحث الثاني: القيم الأسلوبية اللفظية للخطاب الدعوي المؤثر. وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: مبدأ القيمة اللفظية .

الفرع الثاني: التنوع الأسلوبي .

الفرع الثالث: الصور والسياقات.

المبحث الثالث: القيم الاجتماعية للخطاب الدعوي المؤثر. وفيه فرعان.

الفرع الأول: قيم إنسانية عامة.

الفرع الثاني: قيم التعزيز الخُلُقي .

المبحث الرابع: القيم العقلية المنطقية للخطاب الدعوي المؤثر. وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: العرض التاريخي .

الفرع الثاني: النظر المصلحي .

الفرع الثالث: الحجة والبرهان.

التمهيد

وفيه:

أ. مفهوم قيم الخطاب الدعوي.

ب. تعريف موجز بسورة الأعراف.

أ. مفهوم "قِيَم الخطاب الدعوي المؤثر":

ويمكن لنا أن نتعرف على المفهوم من خلال التالي:

**أولاً: المعاني اللغوية:**

- **القِيَم: مصدر كالصِّغَر وَالكبر(١)، وهي جمع قِيمَة، ومن معانيها:**

**١ـ أنها قَيّمَة الأشياء، أي: الأمور المرجعية فيها(٢)، ومنه قولهم: هَذَا قِوام الأَمر ومِلاكُه(٣).**

**٢ـ أنها قِيمَة الشيء: أي قدره وثمنه(٤).**

**٣ـ أنها تدل على ثبات ودوام، يقال: ما لفلان قيمة، أي: ليس له ثبات ولا دوام على الأمر(٥).**

- **الخِطاب والمخاطبة: مُرَاجعَة الكَلَام(٦)، وتوجيهه إلى شخص آخر(٧) .**

**وقد عرفه صاحب "الكليات" بقوله: الخطاب هو اللَّفظ المتواضَع عَلَيه المقصُود به إفهام من هُوَ متهيئ لفهمه. ـ ثم قال ـ والكَلَام يُطلق على العبارَة الدَّالَّة بالوضع وعَلى مدلولها القَائِم بالنَّفس، فالخطاب إِمَّا الكَلَام اللَّفظِيّ أَو الكَلَام النَّفسِيّ الموجه نحو الغَير للإفهام(٨).**

- **الدَّعَوي: نسبة إلى الدعوة إلى الله، فالمراد هو الخطاب المتعلق بالدعوة إلى الله تعالى.**
- **المؤثِّر: من التأثير، وهو ترك أثر يسببه المؤثِّر، إذ لولاه لما وجد الأثر(٩)، والتأثُّر هو: انفعال وقبول واستجابة للمؤثر، بحيث يظهر الأثر المرجو من فعل التأثير(١٠).**

**وهذا المؤثِّر إما حسي وإما معنوي، وكلاهما له تأثير على مثله أو على الآخر. والحسي كالأجسام، والمعنوي كالخطاب والمبادئ والأخلاق(١١).**

**ثانيا: المعنى الاصطلاحي:**

---

(١). تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م (٩ / ٢٦٨).

(٢). انظر : في معاني كلمة " قِيَم" المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة . د. ت.( ٢/ ٧٦٨) مادة: قام. وغيره.

(٣). انظر: تهذيب اللغة (٢٦٧/٩).

(٤). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية ، بيروت (٥٢٠/٢) مادة: ق و م)

(٥). المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٨) مادة: قام.

(٦). المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (٥ / ١٢٢).

(٧). المعجم الوسيط (١ / ٢٤٣) مادة: خطب.

(٨). الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الكفوي ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت (ص: ٤١٩)، وهو بهذا التعريف وسع معنى الخطاب بحيث شمل الألفاظ والإشارات والمقاصد النفسية، بشرط إرادة الإفهام للغير. وإن كان قد أخرج ذلك من خلال شرحه للتعريف في نفس الموضع، ولكن لا يسلم له ذلك إلا في حال اقتصرنا على أن الإفهام لا يحصل إلا بالألفاظ، وذلك مناقض لما قرره سابقا، ثم إن الإفهام قد يحصل بالحركات والإشارات، وبالتالي فإنها تدخل في الخطاب إذا قصد بها الإفهام وتواضع عليها الناس، ولكن يمكن أن يقال: إنها نوع من الاتصال الخطابي بين الناس وإن كان إفهامها ليس في مستوى إفهام الألفاظ والكلام.

(٩). انظر: الكليات ص ٢٧٩.

(١٠). انظر: الكليات ص ٦٨٣.

(١١). انظر: الكليات ص ٢٧٩، ص ٢٨٠.

من خلال المعاني اللغوية نستطيع أن نقول إن مفهوم "قيم الخطاب الدعوي المؤثر" تنتظم في مضمونه الأمور التالية:

١. مبادئ مرجعية ناظمة ثابتة.

٢. اتصال وتواصل موجه متنوع بأساليب مفهومة.

٣. يتوخى منه التفاعل الإيجابي من قبل الموجَّه إليه.

وعليه فيمكن القول بأن الخطاب الدعوي المؤثر هو: اتصال دعوي تحكمه مبادئ مرجعية ثابتة يؤدي إلى انفعال المدعو واستجابته، ليس على وجه الضرورة.

ب. تعريف موجز بالسورة:

تسميتها: اسمها سورة الأعراف، وعرفت بهذا الاسم من عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وقد تسمى بالحروف التي ابتدأت بها، فيقال: سورة " المص"(١).

نزولها وترتيبها: نزلت سورة الأعراف بمكة، قيل: إلا بضع آيات نزلت بالمدينة(٢)، وهي أول سورة طويلة نزلت من القرآن الكريم(٣)،وهي التاسعة والثلاثون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد عن ابن عباس، نزلت بعد بعد سورة "ص" وقبل سورة "الجن"(٤). وهي السورة السابعة في ترتيب المصحف(٥).

عدد آياتها: هِي مئتان وَخمس آيَات فِي البَصريّ والشامي، ومئتان وست فِي المدَنِيَين والمكي والكوفي(٦).

من خصائص السورة ومقاصدها:

سورة الأعراف أول سورة عرضت التفصيل في قصص الأنبياء مع أممهم(٧)، ووضعت لذلك مقدمة وخاتمة انتظمتا كثيرا من القواعد الدعوية والبراهين الإيمانية..

واختلافها عن غيرها من السور في أنها من أوائل السور التي ذكرت موضوع دعوة الأنبياء، في المرحلة المكية وأسهبت في ذكر أحداث دعوتهم لأقوامهم لتكون نماذجهم ملحظ الأسوة والاتباع سيما في فجر الدعوة الإسلامية المحمدية، فهي مهمة جدا في هذا الباب.

---

(١). التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ ه. ( ٨/ ٥) .

(٢). انظر: التحرير والتنوير (٨/٥) وغيره . ويرجع في الآيات المختلف في نزولها إلى مظانها من كتب التفسير وعلوم القرآن.

(٣). الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣ / ٨٧).

(٤). التحرير والتنوير (٨ / ٧)

(٥). الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣ / ٨٥)

(٦). اختلافها خمس آيَات: ( {المص} رقم:١) عدهَا الكُوفِي وَلم يعدها البَاقُونَ ،( {مُخلصين لَهُ الدّين} رقم :٢٩) عدهَا البَصرِيّ والشامي وَلم يعدها البَاقُونَ، ( {كَمَا {كَمَا بَدَأَكُمْ تعودُونَ}رقم :٢٩ ) عدهَا الكُوفي وَلم يعدها البَاقُونَ، ( {ضعفا من النَّار} رقم :٣٨. ) عدهَا المدنيان والمكي وَلم يعدها البَاقُونَ،( {الحسنى على بني إِسرَائِيل} رقم :١٣٧ ) الثَّالِث، عدهَا المدنيان والمكي أَيضا وَلم يعدها البَاقُونَ ). انظر: البيان في عد آي القرآن، لعثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ص ١٥٥ .

(٧). الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣ / ٨٨)

وقد مهّدت سورة الأعراف لمقاصدها ببيان عظمة كتاب الله الكريم، وجلال هدايته، وقوة حجته في توضيح الدعوة، وإنذار المخالفين لها(١)، وفي إطار النظرة العامة إلى أن الناس سينقسمون ـ تبعا لتعاملهم مع الهدى الوارد من الله على لسان رسله ـ سينقسمون إلى فريقين فريق سيتبع الهدى فهو بحاجة إلى تذكير وإرشاد، وفريق سيعرض عن الحق فهو بحاجة إلى إنذار وتخويف، وفي ضوء هذا النظر عرضت السورة مواضيعها وبينت مقاصدها(٢).

وقد تناولت السورة موضوعات عديدة بالبيان والإيضاح والعرض، مثلت مقاصد مهمة في إطار الاهتمام العام للقرآن الكريم، وكان موضوع السورة الأساسي هو موضوع القرآن المكي كله .. موضوع العقيدة(٣)، ولكنها تعرضه بأسلوبها في مجال التاريخ البشري.. في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها.. وفي هذا المدى المتطاول تعرض موكب الإيمان من لدن آدم - عليه السلام - إلى محمد - عليه الصلاة والسلام - تعرض هذا الموكب الكريم يحمل هذه العقيدة ويمضي بها على مدار التاريخ. يواجه بها البشرية جيلا بعد جيل، وقبيلا بعد قبيل.. ويرسم سياق السورة في تتابعه: كيف استقبلت البشرية هذا الموكب وما معه من الهدى؟ كيف خاطبها هذا الموكب وكيف جاوبته؟ كيف وقف الملأ منها لهذا الموكب بالمرصاد وكيف تخطى هذا الموكب أرصادها ومضى في طريقه إلى الله؟ وكيف كانت عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة(٤)..

وفي ضمن هذا السياق تناولت السورة أهداف الدعوة في المرحلة المكية، وهي تقرير رسالة الإسلام وبيان أصول الدعوة، التي هي توحيد الله في العبادة والتشريع، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة بوجه عام، وتقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بوجه خاص. وتلك هي أصول الدعوة الدينية التي كانت لأجلها جميع الرسالات الإلهية(٥).

هذه هي أهم الخصائص والمقاصد في السورة والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك.

---

(١). الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣ / ٨٧)

(٢) . انظر: مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣ ، ١٤٢٠ هـ ( ١٤/ ١٩٦) و نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٧/ ٣٤٩) .

(٣). في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ (٣ / ١٢٤٣).

(٤). في ظلال القرآن (٣ / ١٢٤٤) بتصرف يسير.

(٥). الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣ / ٨٧).

## المبحث الأول: القيم المنهجية للخطاب الدعوي المؤثر

### الفرع الأول: الرُّشْد

الرُّشْد والرَّشَد والرَّشاد، بالعموم : إصابة وَجه الأَمر، ونَقِيضُ الغَيِّ والضلال(١). وهو عند الفقهاء: أن يبلغ الصبي حد التكليف صالحا في دينه مصلحا لماله، وفي القانون: السن التي إذا بلغها المرء استقل بتصرفاته(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ الأنبياء: ٥١، أن الرشد يعني: الحق والصواب والهدى والسداد القائم على الهداية الخاصة الحاصلة من الله تعالى بالوحي(٣).

ومن خلال ما ذُكِر نستطيع أن نقول إن قيم الرشد في الخطاب الدعوي هي: (الاستقامة، والصواب، والنضج والمسؤولية).

وقد ذكر الرشد في السورة مرة واحدة، إلا أن مظاهره ومعانيه فيها واضحة وكثيرة، يمكن أن نَتَبَيَّنها من خلال خطابها الذي ركَز هذه المعاني فيما ذكره من قواعد وأصول دعوية، وذلك كما يلي:

ـ فاستقامة الخطاب الدعوي يعني: أن تنتظمه عدد من القيم الحاكمة تجعله مقبولا معقولا مؤديا لغرض الدعوة السليمة، ومن القيم الحاكمة للخطاب في هذا الباب، الأمور التالية:

١_ الوسطية والاعتدال في التكاليف، فالتكاليف جزء من الخطاب الدعوي الذي نعني، وقد برزت هذه القيمة في سياق السورة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ الأعراف:٣١. وفي ذلك دعوة إلى أن يأخذ الناس حظّهم من طيبات الحياة، وأن يذوقوا من نعم الله التي وضعها بين أيديهم، ولكن فى قصد واعتدال(٤)، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى بعدها: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الأعراف: ٣٢. ولا يخفى ما في هذه الآية من نظر وسطي إلى الزينة والطيبات، واستنكار للغلو في التقشف(٥).

بل إن الله تعالى لم يكلف إلا بما هو في وسع الإنسان: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الأعراف٤٢. والمعنى: لا نكلف نفسًا من الأعمال إلا ما يسعها فلا تحرج فيه(٦)، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محلها

---

(١). انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ (٣ / ١٧٥).

(٢). المعجم الوسيط (١ / ٣٤٦) مادة: رشد.

(٣). انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠ / ٤٦٦) و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٦ / ٧٢).

(٤). انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة (٤ / ٣٩١).

(٥). انظر: مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٣٠. ٢٣١)

(٦). جامع البيان (١٢ / ٤٣٧)

يوصَل إليها بالعمل السهل من غير تحمل الصعب(١). ومع تحليل الطيبات وتوسيع باب التنعم لم يحرم على الناس إلا خبيثا واضح الخبث، قال تعالى:﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ ﴾ لأعراف: ١٥٧.فلم يأت الرسول صلى الله عليه وسلم بما يثقل كواهل الناس، وإنما جاء بما يتناسب مع فطرتهم من حل الطيبات وتحريم الخبائث، وتخفيف الإصر وهو: الثقل، أو: العهد(٢). ومراعاة طبائع الناس من أهم وجوه الوسطية والاعتدال كما في مخاطبتهم بما يستطيعون ويعرفون ويناسب فطرهم وجهدهم، قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ الأعراف: ١٩٩، أي: الميسور الذي لا يجهدهم، والمعروف بجماله من الأفعال(٣). ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف(٤)، وهو المنهج الذي يسلكه النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس فى أداء رسالته إليهم، من تبعه منهم ومن عصاه على السواء، وهذا المنهج ذو أصول ثلاثة، يقوم عليها، أولها: المياسرة والرفق فى أخذ المؤمنين بأحكام الشريعة، فلا إعنات، ولا إرهاق. وثانيها: ألا يخرج بالناس عن مألوف الحياة وطبيعة البشر، وهذا يعنى أن أحكام الشريعة ليست غريبة على الناس، وإنما هي من صميم البناء السليم للحياة الإنسانية. وثالثها: قوله تعالى﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩ ، وهو من تمام هذا الأدب الربّاني، الذي أدّب الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم، وجعله ملاك أمره فى سياسة الناس، وفى وصل المجتمع الإنساني برسالة الإسلام.. (٥).

٢_ العدل، وأعني به احتكام جميع وجوه الخطاب الدعوي بميزان عادل دقيق يخضع للحق والعدل لا يخضع للأمزجة والأهواء، قال تعالى: ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأعراف : ١٥٩. (٦) ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾ الأنعام: ١٥٢، ويدخل في ذلك كل ما يتصل بالقول من شهادة ودعوة وغير ذلك(٧).

(١). مفاتيح الغيب (١٤ / ٢٤٢).

(٢). الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (٧ / ٣٠٠)

(٣). جامع البيان (١٣ / ٣٢٦) والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ (٢/ ١٨٩، ١٩٠).

(٤). مفاتيح الغيب (١٥ / ٤٣٤)

(٥). انظر: التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٥٤٥.٥٤٨) باختصار وتصرف.

(٦). انظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٤٠٣).

(٧). انظر: مفاتيح الغيب (١٣ / ١٨٠).

ومن الخطاب العادل عدم تجاوز قدرات الناس وإمكاناتهم ومعارفهم، إلا بما يواكب الفطرة التي قد تغيب عند بعض الناس، وقد قال تعالى مبينا ذلك﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ الأعراف: ٢٩، والقسط من معانيه العدل(١)، وما ظهر في العقول كونه حسنا (٢) ..

ومن العدل في الخطاب الدعوي: بيان وجه الأمر والنهي؛ بمعنى: لماذا الأمر، ولماذا النهي، حتى يكون الامتثال أو الرفض عن بينة واختيار تام. ومنه: إقامة الحجة والإتيان بالبينة الواضحة، والمعجزة التي لا تحتمل التأويل. ومنه: إعطاء المهلة الكافية، ومنه: المحاورة واحترام الرأي والاختيار. كما أن منه: بيان الجزاء جَرَّاءَ الاختيار. ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الأعراف: ٨ - ٩، وهذا كله مما أشارت إليه آيات هذه السورة الكريمة.

٣_ البعد عن العوج اللفظي والمعنوي، مع التيسير واحترام إنسانية الإنسان، والتركيز على إصلاح البيئة ومكوناتها، والتلطف في الوصول إلى الغايات من غير غلو ولا انحراف. وهذه من أهم القيم التي ركز عليها الخطاب في السورة، فقد بينت السورة بوضوح كثيرا من أسس الفلاح الإيمانية وكثيرا من أسس الهلاك الكفرية، وبينت الطرق المؤدية للفوز بالجنة والطرق المؤدية للتردي في النار، وبينت من هو العدو والصديق، وبينت اختصاص الدعاة ومدى إمكاناتهم، ومصداق ذلك في الآيات التالية: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأعراف: ٣٣ ، ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ الأعراف: ٢٧ ، ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ الأعراف: ٢٤، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا .. ﴾ الأعراف: ٣٦. و﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا... ﴾ الأعراف: ٤٠ ، ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٤، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٧٢، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ الأعراف: ١٩٩ ، ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف:١٨٨، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ الأعراف: ٢٠٣. والشواهد كثيرة، وهكذا ينبغي أن يكون الخطاب الدعوي بيانا واضحا لا عوج فيه ولا غموض ولا لبس.

(١). انظر: جامع البيان (١٢/ ٣٧٩) و النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (٢ / ٢١٦)..

(٢). محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٥ / ٣٥).

ـ وأما الصواب، فهو السداد في الأمر، ووقوع الخطاب في موقعه الصحيح، وإصابة الحق، ويدخل في معناه الثبات، ومجانبة الخطأ(١)، والوقوف على الخير(٢). وهذه سمات لقياس كون الخطاب الدعوي صائبا أم لا؟ وقد أشارت السورة إلى أهمية كون الخطاب الدعوي صائبا، فمن ذلك وَسْمُ ما جاء به الرسل بأنه حق ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٤٣. والإشادة بمن يتوخى الحق في خطابه وعمله، قال تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٩، والبيان بالتزام الداعية بالحق، كما جاء على لسان موسى عليه السلام ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ الأعراف: ١٠٥. والإنكار على من لم يتوخ الحق في خطابه، ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ الأعراف: ١٦٩.

ومن الصواب في الخطاب: بيان المنهج الذي يتوخاه الداعية في الأوامر والنواهي وسائر خطاباته، حتى لا يحاكم إلى غير منهجه الذي انتهجه، ومما أشارت إليه السورة في هذا الجانب: أن الداعية إنما يبلغ عن الله﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾ الأعراف: ٢٠٣. ﴿ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦١ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ﴾ الأعراف: ٦٢ ، والرسول إنما يبلغ ما أرسل به ويتبع ما يوحى إليه، وهو يدعو إلى محاسن الأمور ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٨ ، فليس من عادته سبحانه الأمر بالقبائح(٣). وهو يربط الناس بالله القادر على التأثير والتمكين وحده، ولا يعِد الناس بشيء من تلقاء نفسه، ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ١٢٩. ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الأعراف: ١٨٨ . ومن الصواب: البدء بالمتفق عليه في الخطاب والعرض ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الأعراف: ٥٩، ٦٥، ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ الأعراف: ١٤٠ ، فهم لا يمانعون أن يعبدوا الله، ولكن مع الإشراك به.

ومن الصواب: التذكير بالمصالح والمنافع التي سيجنيها المخاطب إذا استجاب، ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٢ ، ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ الأعراف: ٦٨ ، فالنصح لهم وفي صالحهم، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦. وهكذا يمكن استنباط وجوه الصواب في الخطاب الدعوي من خلال ما عرضته السورة وحسبنا ما ذكرناه.

---

(١) . انظر: معجم مقاييس اللغة ،لأحمد بن فارس لرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٣/ ٣١٧) و التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ص ١٣٥.

(٢) . انظر: فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ (٣/ ٣٥٤)

(٣) . محاسن التأويل (٥ / ٣٣).

ـ وأما النضج والمسئولية: فأعني بها: اتسام الخطاب الدعوي بأنه في الغاية من الحسن والحكمة، والقدرة على عرض كل ما تتطلبه الدعوة بكفاءة والتزام(١).

وسورة الأعراف قد أبانت عن هذه القيمة بصور متعددة: فمن ذلك: إظهار الخوف على المدعويين ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ الأعراف: ٥٩ . وإظهار النصح لهم﴿ وَأَنصَحُ لَكُمۡ ﴾ الأعراف: ٦٢، ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴾ الأعراف: ٦٨ ، ﴿ وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ ﴾ الأعراف: ٩٣ والاجتهاد في البلاغ، والصبر على معاندتهم وإعراضهم وتحقيرهم، وكثرة التنويع في العرض والأساليب وإعطائهم المهلة تلو المهلة، والرحمة الظاهرة والتلطف في الخطاب معهم، وتغليب جانب التبشير ، وعدم الشماتة بهم حال وقوع العذاب عليهم، إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على نضج ومسئولية. وهذه هي أهم ركائز وقيم الرشد من خلال فهمي لها في السورة .

الفرع الثاني: الوضوح

الوضوح من القيم الأساسية في الخطاب الدعوي، فلا بد أن يكون الخطاب الدعوي ومضمونه واضحا بالنسبة للداعية وللمدعو، والوضوح: هو الظهور والبيان.

ومن خلال السورة نستطيع أن ندرك مظاهر الوضوح في الخطاب الدعوي، والتي منها المظاهر التالية:

ـ التحديد الدقيق للمطلوب، من مثل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ الأعراف: ٣ ، ومثل قوله تعالى: ﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٩. فالنهي بعد الأمر يقتضي التحديد الدقيق، وإلا فإن الأمر يكفي في بيان المطلوب، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده(٢). وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠٥. تحديد دقيق للكيفية.

ـ استعمال أسلوب التقرير تأكيدا على تمام الوضوح لدى المخاطب، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ الأعراف: ٢٢.

ـ التأكيد على التفصيل في الخطاب: مثل قوله تعالى﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٢ ، ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ ﴾ الأعراف: ٥٢ . ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٤ .

(١) . انظر: معجم مقاييس اللغة (٥ / ٤٣٧) و المعجم الوسيط (١ / ٤١١).

(٢) . انظر: الكليات ص ١٨١.

ـ بيان أن الحجة قد تقوم بعمل البعض بالمطلوب على وجهٍ مقبول، كإيمان البعض بما دعى إليه الأنبياء، فكيف قاموا بالأمر إذا لم يكن واضحا، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ٧٥.. ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٧ ، فإيمان أولئك كان عن وضوح الخطاب لهم..

ـ قيام الأدلة الشاهدة بصدق الخطاب، والصدق من أهم جوانب الوضوح، ومن الأدلة على صدق الخطاب: البراهين والمعجزات الحسية والمعنوية، وما من نبي إلا ذكر أنه جاء بالآيات الدالة لصدقه ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الأعراف: ١٠١.

ـ وصف الله تعالى لما جاء به النبي بأنه نور، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ الأعراف: ١٥٧. وبأنه بصائر ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٢٠٣

ـ كون الخطاب من غير المستنكَر عقلا ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الأعراف: ١٥٧.

ـ سهولة ألفاظ الخطاب وأساليبه، ومن ذلك استدلاله بالبدهيات، مثل قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٩١ – ١٩٧، وأمره بالسهل من الأوامر، مثل: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ الأعراف: ١٦١ ، وغيرها..

ـ تنويع الخطاب لكل قوم بما يعرفونه وبما يحتاجونه، وهذا يتضح من خطاب كل نبي لقومه بما يناسبهم، كما هو واضح في سياق السورة..

ـ الإنكار الشديد على من يدّعي عدم المفهومية في خطاب الدعوة، وبيان أن هذا الادعاء إنما نشأ عن عناد أو استكبار أو جحود أو خبث أو تكذيب أو فسق أو غفلة أو مجالسة لمن يتصف بمثل هذه الصفات وتواطإٍ

عليها(١)، وهذه أمور يتحمل الشخص ذاته تبعات ممارستها ولا ينبغي أن يتحمل الداعية أو الخطاب الدعوي وزر ذلك.

هذه الأمور ذكرناها كمظاهر للوضوح في الخطاب الدعوي، وهي من أهم القيم التي ينبغي أن يقوم عليها الخطاب في هذا الجانب.

الفرع الثالث: الحوار

الحوار مبدأ مهم وأساس قيِّم في إيصال البلاغ إلى المستهدف، وهو أسلوب عرض جيد محفز للتفاعل ومهيئ للاستقبال الجيد، كما يوفر إمكانات كبيرة على مستوى الداعي والمدعو ومضمون الخطاب. وقد بين الله هذه الأهمية للحوار كأسلوب تخاطب، وخاصة في الدعوة إلى الله، في مواضع كثيرة من كتابه، إما بالإشادة به كأسلوب حكيم عند الأمر بالمجادلة بالتي هي أحسنن أو بعرض صور من الحوارات والمجادلات الغرض منها لفت النظر إلى طرقه ومدى نجاعته وأهميته كقيمة ضابطة للمخاطبة مع الآخر.

وسورة الأعراف أوردت نماذج وصورا حوارية مبنية على أساس التخاطب، وقد تعددت أهدافها وتنوعت أساليبها وأشخاصها، فمنها ما غلب عليه جانب الاستعلام والتقرير، كالحوار مع إبليس، ومع الذين أخذ الله عليهم العهد بعد ما أخرجهم من ظهور آبائهم، ومنها ما استهدف التوجيه والإرشاد، كالحوار مع آدم وبنيه، ومنها ما كان للبيان وإقامة الحجة وتفنيد الشبهات كحوار الأنبياء مع أقوامهم، ومنها ما كان لبيان العلم والمعرفة والفضل كالحوار بين أصحاب الأعراف وأصحاب الجنة و أصحاب النار.

وهذه الحوارات منها ما كان: بين أصحاب فئة واحدة كحوار موسى وقومه من بني إسرائيل، أو موسى مع ربه، أو بين خصوم كحوار موسى مع فرعون وملائه، أو مع معاند مستكبر كمحاورة الله لإبليس، أو مع مناوئين ومعاندين أو جاهلين كحوار الرسل مع أقوامهم أو الملإ منهم.

وبعض هذه الحوارات جاء بصورة مسهبة وبعضها بصورة موجزة..

وكل هذه الحوارات في السورة جاءت في إطار بيان أوجه الخطاب الدعوي المؤثر، وحَوَت كثيرا من قيم وخصائص الحوار المؤثر، ومن تلك القيم الحوارية المؤثرة التي ذكرتها السورة والتي ينبغي أن تتوافر في أي حوار ناجح، القيم التالية:

١. الالتزام بمبدأ التشارك مهما كان موقف الآخر، وهذا واضح من حوارات السورة.
٢. الهدوء والثقة بالنفس، فلا يستفز الداعية من جهة المعاند، بل يجيب ببساطة وصدق(٢)، وهذا يمثله قول نوح عليه السلام ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف:

(١). انظر: سورة الأعراف، الآيات (١٠، ١٣، ٢٨، ٣٦، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٤، ٧٦، ١٠١، ١٤٦، ٢٠٢ وغيرها)

(٢). انظر: في ظلال القرآن (١٣١١/٣).

٦١ ، وقول هود عليه السلام ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦٧، مقابل اتهام الملأ من أقوامهم لهم بالضلال والسفه، وهذا الهدوء يجعل الداعية يتخاطب بعمق وروية ومسؤولية.

٣. عدم استعداء الطرف الآخر بأي صورة، لأن الداعية لديه هدف أسمى يريد تحقيقه، فيحتاج إلى الحذر في المخاطبة، حتى لا يتم توظيف أي أخطاء في الخطاب لصالح الطرف المضاد، ونحن نلمس في خطاب الأنبياء دقة الإجابات ودقة اختيار الألفاظ.

٤. التركيز على الفكرة والهدف وعدم الانجرار وراء شبهات وقضايا جانبية لا تخدم الهدف الدعوي، مثل قوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ الأعراف: ٧٥. فهذا الكلام من المؤمنين يبين معرفتهم الكبيرة بأهداف العدو من قولهم الإنكاري: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ الأعراف: ٧٥.

٥. قطع الحوار في حال تحوله إلى جدل عقيم أو مهاترات وتحد لا طائل منه، ﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ ﴾ الأعراف: ٧١.

٦. حسن الاستماع للمحاور لمعرفة فحوى الكلام والتمكن من الرد السليم.

٧. الجدية في الحوار.

٨. استغلال الوقت المتاح في بيان الحجة والهدف الدعوي.

٩. البدء في النقاط التي يقل فيها الخلاف أو ينعدم، وقد أشرنا إليها سابقا .

١٠. الاستعداد بالعلم والاطلاع ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الأعراف: ٧.

١١. الصبر والمداراة، وذلك بقدر الهدف الدعوي، ويظهر ذلك من خلال الخطاب المسهب من الدعاة بجانب قلة كلام المدعويين، مما يوحي بحرص وصبر من قبل الدعاة، لما يعلمون من فضل الدعوة إلى الله وفضل بيانها، (( لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم..)) (١).

١٢. إظهار عيوب معتقد المدعو بأسلوب تقريري لا يستطيع إنكار حقائقه، ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ الأعراف: ٧١ .

(١) . الحديث أخرجه البخاري في صحيحه الجامع المسند، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عن سهل بن سعد ( ٤/ ٤٧) رقم: ٢٩٤٢. وغيره..

١٣. إدخال المواعظ في الحوار، والتنبيه على المآلات ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف:٧٣، ﴿ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٨٦.

١٤. التعريض بجهل المدعو بما عند الداعية، وبعدم استعماله أدوات العلم التي وهبه الله إياها ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٧٩. إلى غير ذلك من قيم الحوار التي ذكرتها أو أشارت إليها السورة.

## المبحث الثاني: القيم الأسلوبية اللفظية للخطاب الدعوي المؤثر

### الفرع الأول: مبدأ القيمة اللفظية

وأريد بهذا المبدأ أن الداعية ينبغي أن يختار ألفاظا وجملا مناسبة للحال والشخص المخاطب، ويكون ذلك الاختيار مقصودا وله دلالة أقوى من التي قد يؤديها أي لفظ آخر أو جملة أخرى في نفس الحال ومع نفس الشخص، كما أنه يكون معبرا عن الموقف بشمول ودقة وصدق ويسر.

والسورة الكريمة أشارت إلى هذا المبدأ، ويتبين ذلك من النظر في خطاب الأنبياء مع أقوامهم وكيف كانوا يختارون الألفاظ والجمل المعبرة عن المقصود بإيجاز وشمول أو بتفصيل أحيانا، بحسب المقتضى، هذا من جهة ومن جهة أخرى يتبين ذلك من أمر الله لرسله بما ينبغي أن يقولوه أو يأمروا به ويَتحرَّوْه. ولا شك أن لذلك أثرا كبيرا على عدة مستويات: مستوى الوقت والجهد. ومستوى التأثير والجدية. ومستوى الشمول. ومستوى المصداقية. ومستوى الفهم المباشر...ففي الوقت والجهد هناك بعض الألفاظ والجمل تحتاج إلى وقت وجهد أقلَّ ليتضح المراد بها، كما أن بعض الألفاظ والجمل مستوى تأثيرها أعلى من غيرها، وكذلك هي في مستوى الشمول والجدية والمصداقية ومستوى فهم المخاطبين لها. ومقصدي هنا أن أعرض بعضا من تلك القيم اللفظية من غير استقصاء، فالقصد هو التمثيل فقط.

وقد جاء بيان تلك القيم اللفظية في السورة من خلال صورتين، بحسب فهم الباحث، هما:

الصورة الأولى: الاهتمام بالقول عموما كقيمة للبلاغ والنقل، سواء في الدعوة إلى الله أو بصورة عامة، ومن الأمثلة على ذلك:

ـ التنصيص بالفعل "قل" في موضع يدل على ضرورة أمانة النقل عن الله كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ الأعراف: ٢٨ ، و ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ الأعراف: ٢٩ .و﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ .. ﴾ الأعراف: ٣٢، و ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ .. ﴾ الأعراف: ٣٣. فهذه أمور لا يصح القول فيها من قبل أيٍّ كان ولا كيفما اتفق، وإنما لا بد من تحري الدقة في نقلها وتبليغها.

ـ الإنكار الشديد على من يقول على الله بغير علم(١)، قال تعالى: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٨ ، وإدراج القول على الله بغير علم في الفُحش؛ لأنه مدعاة للتحريف والمبالغة، بل إيراد تحريم ذلك صريحا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ .. ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾الأعراف٣٣،، وفي هذا بيان واضح لخطورة القول وأهميته.

ـ أمرُ النبي صلى عليه وسلم بالفعل "قل" في موضع بيان حقيقة الرسول وقدراته، مثل:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨. ومثل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ إلى ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٨٧، ومثل: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ .. ﴾ الأعراف: ١٨٨ ، وقوله:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ .. ﴾ الأعراف: ١٩٥، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ الأعراف: ٢٠٣. وفي هذا بيان أن الأنبياء لا يقولون إلا بما هم مخولون فيه وبه من القول.

ـ إشهاد الله الخلقَ على أنفسهم بما قالوه في عالم الذر حتى لا ينكروه أو يحرفوه ويتهمون غيرهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣، وفي هذا تنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يتحرز في قوله وأن يتجنب الكلام بغير الحقيقة ولو كلفه ذلك ما كلفه.

الصورة الثانية: الاهتمام بالألفاظ والجمل كوعاء للمعاني ومعبرة عنها، وأنا هنا أريد بيان اتجاه الألفاظ والجمل نحو خدمة توضيح الخطاب وتفهيم المخاطَب، في إطار القيم الخطابية الدعوية. ومن الأمثلة على ذلك:

ـ الاقتصار على ما يفي بالغرض من الكلام من غير إطناب، مع الإيفاء بالدلالة المطلوبة، كقوله: ﴿ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ ﴾ الأعراف: ٦١ ، اتهموه بالضلال فنفى نوحٌ عليه السلام الضلالة ولم ينف الكذب، وهذا من التنبيه بنفي الأدنى على نفي الأعلى(٢) وهو واف بغرض نفي الكذب عنه، وفي قوله: ﴿ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ الأعراف: ٦٧

(١) . انظر: الكشاف (٢/ ٩٩) و إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص، سورية، وغيره، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ (٣/٣٣٧) وغيرهما.

(٢) . انظر: الكشاف، الحاشية (الانتصاف) (٢/١١٣)

، رد هودٌ عليه السلام على تهمة السفاهة وأهمل تهمة الكذب، إما اكتفاء برد إحدى التهمتين عن رد الأخرى لاقتضائها لها، أو أن كونه رسول من الله يثبت صدقه(١) وذلك أيضا يفي بالغرض.

ـ القصد إلى السهولة واليسر في الخطاب من خلال التعاطي مع الألفاظ والجمل سهلة التعبير والدلالة، مع الإيجاز وعدم الإخلال، ومن ذلك: ضرب المثل الحسي للأمر المعنوي، وكون الممثل به من بيئة المخاطبين أو معروف لديهم، مثل قوله: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾ الأعراف: ٥٨ ، فهذا مثل واضح يبين الفرق بين المؤمن والكافر بما هو معروف في البيئة(٢). ومن هذا قوله: ﴿ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ﴾ الأعراف: ٢٦ ، فكما أنكم تحسّون وتدركون أن اللباس المادي يواري السوءة المادية الحسية فيجب أن تعلموا أيضاً أن اللباس الذي ينزله الله من القِيَم إنما يواري ويستر به سواءتكم المعنوية(٣). وقوله: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ الأعراف: ٨ ، الوزن معلوم بما هو مشاهد، فهو أمر تقريبي لهم تعرفه العرب من لسانها، يشمل الحس والمعنى(٤)، ويقرب ما يقع يوم القيامة، وقوله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ الأعراف: ١٧٦ ،فيه مثل لمن يكذب بآيات الله وينسلخ عنها بالكلب اللاهث في كل حال وغرضه التشنيع(٥). وقوله: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ ﴾ الأعراف: ٤٠ ، مثلٌ للشيء المستحيل(٦).

ومن ذلك أيضا: التفصيل الكبير لبعض الأشياء، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .. ﴾ الأعراف: ٣٣. وقد أشرنا لذلك سابقا.

ومن ذلك أيضا: الوصف الدقيق لبعض الأشياء، مثل: ﴿ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ .. ﴾ الأعراف: ١٥٧ ، ١٥٨. ومثل قوله : ﴿ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ الأعراف: ١٥٠، على اعتبار الأسف بدلا من الغضب أو حالا منه (٧). إلى غير ذلك.

---

(١) . انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (٤/ ٣٩٣).

(٢) . انظر: جامع البيان (١٢/ ٤٩٧) و زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ (٢/ ١٣٢).

(٣) .تفسير الشعراوي ( الخواطر) لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، عام ١٩٩٧ م (٧ / ٤٠٩٣).

(٤) . انظر: زاد المسير (١٠٢/٢) ولسان العرب (٤٤٧/١٣)

(٥) . انظر: تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص ٢١٦.

(٦) . انظر: روح المعاني (٣٥٨/٤) وغيره.

(٧) . انظر: تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام: ١٩٩٠ م (١٧٨/٩).

ـ ذكر بعض الوظائف البدهية للأشياء كما في قوله تعالى: ﴿ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ الأعراف: ٢٦، وذكر بعض الوظائف التي لا تدرك بغير علم، أو قد يُغفَل عنها، كوظائف الرياح(١) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ الأعراف: ٥٧. وهذا من البيان الذي قد يحتاج إليه بعض الناس ويرد على تساؤلاتهم.

ـ التعليل لبعض الأشياء، مثل قوله : ﴿ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف : ٥٧.

ـ المجيئ بالكلمة أو العبارة ذات الدلالة الواسعة مما يعدد جوانب الفهم ويجعلها مقبولة، مثل: ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ﴾ الأعراف: ٦٢، ٦٣. فالجمع هنا يدل على تنوع أهداف الرسالة وتنوع أفراد ما جاء به الرسل إليهم وبلغوهم إياه(٢)، ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ﴾ الأعراف: ٩٦، على قراءة (لفتَّحنا) بالتشديد، وكذلك " بركات" بالجمع، تدلان على المبالغة والتنوع(٣)، وكلمة ﴿ خُلَفَآءَ ﴾ الأعراف: ٦٩، ٧٤، يراد بها الاستخلاف حسا ومعنى(٤)،ومن ومعنى(٤)،ومن ذلك قوله: ﴿ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ ﴾ وقوله: ﴿ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ ﴾ الأعراف: ١٤٦(٥)، وقوله: ﴿ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ الأعراف: ١٦٣(٦)، ﴿ يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ الأعراف: ١٦٧، ١٦٧، فهذ عبارات والفاظ واسعة الدلالة الدلالة متعددة الفهوم(٧).

وهكذا نجد هذا التوسع في معاني قوله: ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ ﴾ الأعراف: ١٣٥، و ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ .. وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ الأعراف: ١٤١ ، و﴿ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأعراف: ١٦٢ ، و ﴿ شُرَّعًا ﴾ الأعراف: ١٦٣ ، ﴿ خَلْفٌ ﴾ الأعراف: ١٦٩ ، و﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ الأعراف: ١٩٩ ، و ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٢٠٣ ، إلى غير ذلك من الكلمات والعبارات الواردة في السورة مما يعد جامعا لأفراد ومعان كثيرة.

---

(١) . انظر: تفسير الشعراوي (١٠/٥٨٥٠) وانظر: الاختلاف القراء في كلمة (بشرا) مما يدل على الوظائف. انظر : حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص ٢٨٦.

(٢) . انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٢٠٣، و ص ٢٠٤.

(٣). انظر: حجة القراءات ص ٢٨٨. والتحرير والتنوير (٢١/٩)

(٤) . انظر: الكشاف (١١٧/٢). وغيره.

(٥) . انظر: تفسير المنار (١٧٠/٩)..

(٦) . انظر: تفسير المنار، وتفسير الشعراوي (٢٢٩٣/٤).

(٧) . انظر: تفسير الشعراوي (٧/ ٤٤١٨).

ـ التكرير لبعض الجمل والألفاظ، لأغراض منها: التأكيد أو التوضيح أو بيان وحدة هدف القائل هنا وهناك، أو بيان أن حالة المخاطَبين في كلٍ مقتضية لذلك، مثل: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۚ ﴾ الأعراف: ٦٥ ، ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ، و﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ ﴾ الأعراف: ٦٩ ... هذه بعض شواهد الاهتمام بالقيم اللفظية في الخطاب الدعوي من خلال السورة من غير استقصاء.

الفرع الثاني: التنوع الأسلوبي

جاء خطاب السورة متوزعا بين أساليب الخبر والإنشاء والتقرير والتصوير، وقد برز الأسلوب التقريري(١) والتصويري في خطاب السورة(٢) وكذلك الأسلوب الخبري، لأغراض لاءمت موضوع السورة الأبرز، الذي هو موضوع العقيدة، وهذا يصب في مصلحة يُسْرِ الخطاب ووضوحه، أما التقرير فقد مر معنا كيفية حصول وضوح الخطاب به، وأما الإخبار فإنه حكاية حال فلا يحتاج إلى بيان كيفية حصول الوضوح من خلاله، وأما التصوير فهو وإن كان أسلوب أدق وأعمق من الآخَرَيْن إلا أن التصور الحاصل من جرَّاء التصوير بالمحسوس والبدَهي مُتسامَحٌ فيه بحيث إن كل إنسان يحصل له التصور بقدر معطياته الفكرية والعقلية، والإنسان مكلف بقدر ذلك، وهذا هو وجه الوضوح في هذا الأسلوب.

ومن الأسلوب التصويري: ضرب الأمثال والتشبيهات والقصص والتقابل، وغيرها مما ورد في سياق السورة، وقد أفردت له الفرع التالي ومن الأسلوب التقريري: ما ورد من استفهامات تقريرية ومنها: ﴿ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا ﴾ الأعراف: ٢٢ . و ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ﴾ الأعراف: ١٧٢ . و﴿ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الأعراف: ١٦٩، أو ما يرد من تقريرات في نهاية عرض معين وخاصة في آخر الآيات، كجمل مقررة لما قبلها(٣).

ومن أساليب الخبر التي وردت في السورة: الوصف والحكاية والسرد التاريخي والجمل الجامعة المتعددة المعاني، إلى غير ذلك. وأمثلة هذه الأساليب واضحة في سياق السورة لا أريد الإطالة بذكرها.

ومن أساليب الإنشاء التي وردت في السورة:

ـ أسلوب الاستفهام، إنكاريا وغير إنكاري، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾ الأعراف: ١٢ ، وقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ الأعراف: ٦٣، ٦٩، و﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ الأعراف: ٨٠.

ـ أسلوب الإرشاد والأمر، كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ الأعراف: ٢٧ ، و ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ الأعراف: ٣١...

(١). انظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٢٤٥)

(٢). انظر: التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب إبراهيم ، دار الشروق، الطبقة الشرعية السابعة عشرة ص ٩.

(٣). انظر: التصوير الفني في القرآن ص ٦٨.

ـ أسلوب النهي مثل قوله: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا .. ﴾ الأعراف: ٨٦ ، ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ .. ﴾ الأعراف: ٧٤.

ـ أسلوب الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف: ٨٥ ، وقوله: ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم ﴾ الأعراف: ٨٩. وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا ﴾ الأعراف: ٩٦.

ـ أسلوب النداء مثل قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، و قوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ﴾ وهو في كلام الأنبياء في السورة كثير. وعند إمعان النظر في هذا التنوع في الأساليب الخطابية في السورة يمكن لنا أن نتبين أن من أهم القيم التي يتسم بها هذا التنوع في الأسلوب، ما يلي:

١) أنه يراعي كل فئات المخاطبين، فهو يخاطب الملأ والعامة والرجال والنساء...

٢) أنه يراعي المستويات الإدراكية عند المخاطبين، فمع كونه سهلا ويسيرا هو أيضا بليغ وعميق، فكل ناظر أو سامع يدرك منه بقدر معطياته لذلك.

٣) أنه يراعي الحاجات الإنسانية المتنوعة والمتجددة(١) .

٤) أنه يراعي الإمكانات المادية، وإمكانات التمكين الإلهي، فهو يرد النصر والتمكين إلى الله تعالى(٢). وهو أيضا لا يعِد المؤمنين بالنصر من غير بذل سبب من قبلهم، أو جهد مستحق لذلك(٣).

٥) أنه يُحدِث لكل موقف ما يناسبه من الخطاب(٤) .

٦) أنه يتنقل بين الشدة واللين بما يناسب الموقف والحال والشخص(٥).

### الفرع الثالث: الصور والسياقات

والصورة هي : هيئة تخيُّلية في الذهن(٦) تنم عن كيفية المتَصَوَّر(٧). وأنا هنا أقصد الصورة التي يرسمها الخطاب في الذهن عن شيء ما. وأقصد بالسياق: تتابع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه(٨) مضافا إليه ملابسات ورود الكلام(٩).

---

(١) . كما في الآيات (٣٢، ٩٦) مثلا.

(٢) . كما في الآيات (٣٧، ١٩٦، ١٩٧) مثلا.

(٣). كما في الآيات (١٢٨ ،١٥٧) مثلا.

(٤) . كما في الآيات ( ١٢٦. ١٢٩، ١٣٨ ..) مثلا.

(٥) . كما في الآيات ( ٨٥، ٨٦، ٨٧ ..) مثلا.

(٦) . انظر: الكليات ص ٥٥٩، والتصوير الفني في القرآن ص ٧٥. وغيرها.

(٧) . انظر: دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)،للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (٢/ ١٨٢).

(٨). المعجم الوسيط (١، ٤٦٥) مادة: ساق.

(٩) . انظر: محاسن التأويل (٩/ ٨١) والبرهان (٢٥/١)

وعلى هذا فإن الصور والسياقات من أهم مكونات الخطاب عموما، والخطاب الدعوي خصوصا، ويتضح ذلك من خلال خطاب السورة، فقد أوردت صورا عديدة، منها: ما جاء بأسلوب القصة كقصة آدم وإبليس، ومنها ما جاء في صورة حوارات كحوار أصحاب الجنة وأصحاب النار وأصحاب الأعراف، ومنها ما جاء في صورة ضرب المثل المباشر، كمثل الذي انسلخ من آيات الله، وما جاء بصورة استعارات كما في قوله: ﴿ سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ الأعراف: ١٥٤(١)، وقوله: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ الأعراف: ١٧٦. فالشيء الذي تتصوره النفوس من حاله هو كالذي تتصور من حال الكلب(٢). ومن القيم المرعية في تلك الصور: التنوع والوضوح والتناسق والربط بالهدف..

وأما سياقات الخطاب في السورة، وهي عامة السورة، أو كل مقطع يتكلم عن قضية معينة، فإنها قد راعت قيماً عدة، منها: تناسق الكلام وتسلسله واتصاله وتتابعه، وأحوال المخاطبين وبيئاتهم واختلافاتهم، واختيار الألفاظ والجمل المناسبة لكل سياق، والربط عند كل انتقال. إلى غير ذلك.

ولا شك أن هذه القيم في كل من الصور والسياقات مهمة في جعل الخطاب الدعوي مؤثرا وناجحا.

## المبحث الثالث: القيم الاجتماعية للخطاب الدعوي المؤثر

### الفرع الأول: قيم إنسانية عامة

الخطاب الدعوي خطاب إنساني عام، يظهر ذلك من قوله تعالى﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨. ومن هنا فلا بد من أن يستهدف القيم الإنسانية التي فطر الناس عليها ليكون له التأثير المنشود في الدين والدنيا على من آمن واتبع الهدى، وعلى من لم يؤمن في دنياه على الأقل، ذلك لأن الخطاب الدعوي ليس هدفه أن يؤمن الناس، فقط، ولكن له أهداف أخرى، منها: إصلاح المجتمع وإزالة الفساد وتوثيق أواصر المحبة بين الناس والتوسيع عليهم مؤمنين وغير مؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾ الأعراف: ٢٩ وفي قوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الأعراف: ١٥٧.

ولما كانت الرابطة الأولى بين الناس هي إنسانيتهم فإن رعاية هذه الرابطة من أهم قيم الخطاب الدعوي المؤثر.

ومن يمعن النظر في سورة الأعراف يجد اهتماما كبيرا بالرابطة الإنسانية بل يجد تحفيزا واستحثاثا لهذه الرابطة وتذكيرا بالأصل الأول للناس جميعا، مما يشير إلى ضرورة الاهتمام بالإنسانية في خطة الخطاب الدعوي؛ كونها أرضية مشتركة صالحة لمخاطبة الناس من خلالها وغرس الأهداف المناسبة لها، وفي هذه

(١). انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٩) ..

(٢).المحرر الوجيز (٢ / ٤٧٨) .

السورة بيّن الله لعباده أمورا كثيرة مشتركة بين الناس، منها: بيان أنهم من أصلٍ واحد فقال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ الأعراف: ١٨٩ ، ومنها أنه ذكَر كلمة "بني آدم" الأصل الإنساني الأول عدة مرات: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (١). كلها في معرض المدح والتكريم أو في معرض الإشارة إلى البدايات الأولى لهذا الإنسان وأصله. ومنها أنه ذكَر كلمة " الناس" عدة مرات في معرض الاهتمام بشأنهم، ومنها مجيئ وصف الناس بالعالمين عدة مرات مضافة إلى الرب سبحانه؛ تكريما لهم وإعلاء لشأنهم من غير تمييز بينهم في هذه الإضافة والنسبة.

وإلى جانب هذا بين الله بعضا من الصفات والتصرفات الإنسانية المشتركة بين الناس سلبا وإيجابا. وفي ضمن هذا الحديث جاءت كثير من القيم لتوجيه التخاطب مع هذا الإنسان من خلال إنسانيته، ومن أهم هذه القيم الواردة في السورة، ما يلي:

١. توجيه الإنسان ليستظل تحت ظل ربوبية الله وحده، ولا يجعل أحدا غير الله ربا له، ويمكن أن نلمح هذا الأمر من خلال تأكيدات الرسل عليه بقولهم: ﴿ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ في أكثر من موضع، وقولهم: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ في أكثر من موضع كذلك. وكذلك في استنكار موسى عليه السلام على قومه اتخاذهم العجل معبودا من دون الله، وكذلك في تأكيد الله على الميثاق الذي أخذه من بني آدم على تَرَبُّبِهم لله وحده، وتحذيرهم من الانسلاخ من عهد الله فالانسلاخ منه يجعل الإنسان في عداد الحيوانات، كما هو في قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ الأعراف: ١٧٥، في نفس السياق(٢).

٢. توجيه الإنسان إلى تمثل الصفات الإنسانية المناسبة لفطرته كإنسان والتي تتميز عن البهيمية، ولذلك استنكر لوط عليه السلام أن يتصرف قومه تصرف البهائم، بقوله: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٨٠. وجاء قبلها ما يؤكد على الستر وأكل الطيبات ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾ الأعراف: ٣١. وهي صفات إنسانية هامة يفارق الإنسانُ بها الحيوانَ.

٣. تعزيز القيم الإنسانية الإيجابية والمنتجة، كقيمة الحرية التي تفهم من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ .. ﴾ الأعراف: ٨٦ ، وكقيمة التكريم التي تلمح من قوله: ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ الأعراف: ٢٦ ، وكقيمة المسئولية التي لا تنَصُّلَ عنها، والتي تفهم من قوله : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف: ٦ وقوله: ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٨ . وقوله : ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢ ، وكقيمة العدل والحق التي أشاد الله

(١). الأعراف (٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، ١٢٧) .

(٢). انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥٦/٨)

بالقائمين بها بقوله: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٩. وبقوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨١ ١٨١. وكقيمة القسط في التعامل الإنساني، المذكورة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾ الأعراف: ٢٩....

٤. توجيه الإنسان إلى الاستفادة من المعطيات الممنوحة له كإنسان في معرفة الخير والشر والتمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب، وهذا يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ .. ﴾ الأعراف: ١٧٩.

٥. تنبيه الإنسان إلى عدوه الحقيقي وهو الشيطان، كما ذكر ذلك في قصة آدم وإبليس.

٦. توجيه الإنسان نحو التعامل المتوازن في الحياة، والاهتمام بجسده وروحه في نفس الوقت بما يمكنه من القيام بواجباته على ظهر الأرض ﴿ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ .. ﴾ الأعراف: ٣١ - ٣٢.

## الفرع الثاني: قيم التعزيز الخُلُقي

لا شك أن تعزيز الأخلاق الإيجابية في المجتمع ومكافحة الأخلاق السيئة من أهم أهداف الخطاب الدعوي المؤثر، كما أنه مكمل للقيم الإنسانية السليمة، قال صلى الله عليه وسلم (( إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) [(١)].

والسورة الكريمة بينت هذا الأمر على وجه العموم وعلى وجه التفصيل، ومما يمكن فهمه من قيم التعزيز الخلقي في السورة، ما يلي:

ـ التنويه العمومي ببعض القيم الطيبة والغض من بعض القيم الخبيثة، وذلك من خلال القصص الوارد في السورة، كقصة آدم وإبليس، وقصة قوم شعيب، وقصة أصحاب السبت.

ـ الإشارة إلى أساس القيم بقوله: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ الأعراف: ٥٨. فأساس ذلك الفطرة، إيجابا أو سلبا(٢).

ـ ربط الناس بالله تعالى تصورا وعملا، ويظهر من خلال تأكيد الأنبياء لأقوامهم بضرورة رعاية الرابطة مع الله، مثل:﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٢٨. و﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ ﴾ الأعراف: ١٢٩ ..

ـ تحفيز قيم الطهارة النفسية ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، و ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ الأعراف: ٩٦.

---

(١) . الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي هريرة رضي الله عنه، وقال محققه: صحيح، وإسناده قوي. انظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف:د/ عبد المحسن التركي، ط١، ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة( ١٤/ ٥١٣) رقم:٨٩٥٢. وفي بعض الروايات ( مكارم الأخلاق ) بدل ( صالح الأخلاق) كما في مسند البزار ومسند الشهاب. انظر: مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط، نفس الموضع السابق، وغيره.

(٢) . انظر: التحرير والتنوير (٨/ ١٨٤) .

ـ تعرية قيم الفساد وذمها والنهي عن الفساد عموما(١)، كما في قوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا ﴾ ، وقوله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ الأعراف: ٣١. وقوله ﴿ وَلَا نَعْثَوْا ﴾ وقوله ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ عَنْهُمْ ﴾ الأعراف: ١٥٧.

ـ تعزيز قيم الوسطية ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾ الأعراف: ٢٩. أي بالعَدل أهم وجوه الوسطية والاستقامة (٢).

ـ تعزيز قيم الاحترام والاعتراف بالفضل، كما في قوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ الأعراف: ١٠، من باب التوبيخ لهم لعدم شكرهم لله تعالى على عطاياه(٣).

ـ النهي عن بعض القيم التي تؤدي إلى فساد المجتمع ونشر الأحقاد، ومن ذلك البغي الذي مظهره الكبر والظلم(٤)، والبخس الذي مظهره إنقاص حق الغير وخيانته(٥)، والإسراف الذي يؤدي إلى التفريط في الحقوق والتفاوت الطبقي المقيت(٦)..

## المبحث الرابع: القيم العقلية المنطقية للخطاب الدعوي المؤثر

### الفرع الأول: العرض التاريخي

السرد من أهم صور العرض التي تستجلب انتباه الناس وتشدهم إلى المتكلم، وخاصة إذا كان ذا طابع عقلي منطقي صادق يرتب الأحداث ويستنبط العبر والعظات، ومخاطبة العقل هنا تأتي من خلال وضع المخاطب موضع المتحدَّث عنه وجعله يدخل في إطار الصورة المتخيلة، وإذا أحسن العرض وحشدت المقومات الخطابية لذلك فإن كل ذي عقل سليم واع لا شك في تأثره واتعاظه(٧).

ولذلك فإن من المهم للداعية أن يطّلع على التاريخ بصورة عامة وعلى تاريخ الدعوة بصورة خاصة، وسورة الأعراف في مجملها كلام في تاريخ الدعوة بل في تاريخ البشرية كلها(٨)، وقد ركزت السورة على قيم مهمة في عرضها التاريخي، كما هي عادة القرآن الكريم في ذلك، بما يمكن للخطاب الدعوي من الاستفادة منها والتركيز عليها كأسلوب فاعل في تقريب الحق للناس وتقريب الناس إلى الحق، ومن تلك القيم:

ـ الصدق في العرض وعدم المبالغة .

ـ الإنصاف بين شخوص العرض.

---

(١). انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٢٦).

(٢). انظر:معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م (٢ / ٣٣٠).

(٣). انظر: التحرير والتنوير ( ٨/ ٣٣).

(٤). انظر: الكشاف (٢/ ١٠١) .

(٥). انظر: محاسن التأويل (١٤٧/٥).

(٦). انظر: التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ ( ٢/ ٣٩٠).

(٧). انظر: أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ -٢٠٠١م ص ٤١٤.

(٨). انظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٢٤٤).

ـ التركيز على المهم من التاريخ، وترك التفاصيل التي ليس لها تأثير في المشهد.

ـ إبراز الحوار المنطقي الذي يجري بين الأشخاص.

ـ إبراز العبر والعظات التي تخدم الموقف.

ـ التسلسل في عرض الأحداث، إلا بما يخدم الموقف.

ـ تكوين النتائج الجامعة من الصور الجزئية.

ـ إبراز الحجج والأدلة والشبهات التي قامت حولها تلك الحجج والأدلة.

ـ عند العرض التاريخي لا بد للداعية أن يبقى مستصحبا أن العرض ليس هدفا لذاته وإنما يقصد من ورائه أمرين: الأول: بيان سنن الله في الخلق وأنه ينصر عباده في النهاية. والثاني: بيان حجج الدعاة ودحض شبهات المكذبين، لأنها تتشابه في الحالين في كل زمان ومكان(١).

ـ إبراز مدى الارتباط بين مفردات الوجود المخلوق، ومدى خضوعه لله الخالق طوعا وكرها، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يكون نشازا بين هذه المخلوقات التي بعضها أعظم منه بمرات كثيرة(٢).

الفرع الثاني: النظر المصلحي

يختلف الناس في النظر المصلحي بحسب معطيات الدين والثقافة والحاجة، ولكن المتفق عليه بين كل الناس أن حب المصلحة أمر فطر عليه جميع الناس بل جميع المخلوقات، حاشا الأنبياء والملائكة، ولذلك فإننا إذا أمعنا النظر في خطاب القرآن عموما، وفي سورة الأعراف خصوصا، نجد أنه عند دعوته الناس لا يهمل هذا الجانب أبدا بل ربما جعله المدخل الأساس لبَثٍّ وتثبيت بقية أهداف الدعوة في النفوس، فخلاصة المصلحة هي: دفع الضرر وجلب النفع، سواء كان في العاجل أو في الآجل، وهذا الأمر هو الذي عليه مدار الأمر والنهي في الشريعة الإسلامية، وفي سورة الأعراف كان الخطاب عن هذا الأمر من أول المخاطبات في السورة، ففي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ الأعراف: ١٠ ، إشارة واضحة إلى أساس من أسس البقاء وهو ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما(٣)، ثم استطرد السياق بذكر قصة آدم مع إبليس وبيان أن المصلحة في الابتعاد عن عن إبليس وعدم اتباعه، بل حتى إبليس كان من مداخله لآدم وحواء باب المصلحة فقال: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ .. ﴾ الأعراف: ٢٠ - ٢١. ثم استطرد السياق إلى بيان أن الدين لا يقف ضد المنافع الإنسانية والمصالح البشرية ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

(١). انظر : في ظلال القرآن (١٢٤٨/٣).

(٢). انظر: في ظلال القرآن ( ٣/ ١٢٤٩).

(٣). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (١ / ٥٥٦) وغيره.

الأعراف: ٣٢ ، وهكذا جاء الخطاب في هذا الجانب في كثير من آيات السورة، مخاطبا الناس بتنبيههم إلى ما يهمهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم، أو ببيان حرص الأنبياء على مصالحهم، أو ببيان المصالح المترتبة على الاستجابة لطريق الحق واتباعه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٢ . ففيه بيان أن الدعوة لصالحهم هم(١)، وقوله: ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ .. ﴾ الأعراف: ٨٥ ، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦. وقوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٠ ، إلى غير ذلك من الآيات في السورة. وهذه كلها مصالح دنيوية وأخروية جاءت في معرض الخطاب الدعوي الراشد لتبين لنا أن لَفْتَ نظر الناس إلى هذا الجانب في خطاب الدعاة له تأثير إيجابي كبير ينبغي أن لا يهمل وأن لا يترك.

وليس هدفنا هنا بيان أن الاهتمام بهذه القيمة أمر مهم، فقط، ولكنا نريد أيضا بيان القيم الضابطة لها من خلال استكناه الآيات والعبارات القرآنية الواردة في السورة. ولعل من أهم تلك القيم الضابطة، ما يلي:

ـ ربط المصلحة بالهدف الدعوي.

ـ استعمال أسلوب التحفيز الدافع للاستجابة، فكيف يتنكر الإنسان لمن يقوم على مصالحه ويسديها له، ويملكها إياه(٢)، بل كيف يتنكر الإنسان العاقل لمصالحه هو(٣)، والتي لا حافظ لها مثل دين الله واتباع منهجه.

ـ التأكيد على المصالح المشتركة التي يمكن أن تهم أكثر أفراد المجتمع؛ لأن في ذلك استهدافا لجماهير الناس وتوسيعا لدائرة المدافعين عنها .

ـ بيان كيفية التعامل مع النعم والمصالح الخاصة والعامة والمحافظة عليها، وذلك بالتوازن والوسطية، وعدم التكبر والإسراف والإفساد، وشكر الله عليها باتباع رسله ومنهجه، وهذا مما يتضح من سياق السورة بوجه عام.

### الفرع الثالث: الحجة والبرهان

وهذه القيمة من أهم القيم الخطابية إن لم تكن أهمها؛ لأن أي دعوة بحاجة إلى أدلة وبراهين وحجج قوية تقتضي تصديقها والاستجابة لها أو حتى التعامل معها، ولعظم الدعوة إلى الله فإنه تعالى ما أرسل رسولا بالبلاغ إلا أيده بالبراهين والأدلة والمعجزات القوية الظاهرة التي لا يملك العاقل غير المعاند معها إلا التسليم والمتابعة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الأعراف: ١٠١ ، والبينات هي الأدلة الواضحة، وما ذكر الله رسولا أرسله إلى أمة إلا ذكر أنه أرسله ببينة وآية، وهذا أمر بدهي؛ فإنه ما من قوم ولا أمة جاءهم رسول

(١). تفسير الشعراوي (٤١٩٥/٧) .

(٢). انظر: في ظلال القرآن (١٢٦٢/٣).

(٣). انظر: تفسير المنار (٢٩٠/٨).

إلا طلبوا منه بينة وآية تشهد لصدقه، وهو أمر طبيعي لأن شأن العقلاء طلب الدليل وعدم التسليم بدعوى أي مدّعٍ من غير بينة على صدقه، ولكن من غير المنطقي طلب البينة ثم عدم تصديقها لأن ذلك يصبح ضربا من العبث والسخرية والجريمة التي لا تُغفَر، ولذلك كان جزاء مثل هؤلاء عظيما،كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ الأعراف: ٤٠.

وقد نعى الله على قوم موسى وسجل عليهم بالظلم؛ لأنهم اتخذوا العجل وألغوا النظر العقلي البسيط الذي يمكن الاعتماد عليه كأساس أوَّلي لمعرفة الحق من الباطل ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا .. ﴾ الأعراف: ١٤٨ ، ونعى على قوم لا يستعملون أدوات العلم والفهم فقال: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ ﴾ الأعراف: ١٧٩ ، وجاءت استفهامات كثيرة في السورة تستحث النظر العقلي والتفكر والتدبر في آيات الكون والخلق كما في بينات الرسل ومعجزاتهم كما في آيات النفس وآيات الكتاب المبين المنسجم مع ذلك كله.

وقد جاءت لفظة " بيِّنة " بالإفراد والجمع في السورة أربع مرات، وجاءت لفظة " آية " بالإفراد والجمع ثمانية وعشرين مرة(١)، وجاء مفهومهما في مواضع كثيرة، وجاء النعي على من لم ينظر في الآيات ولم يُعمِل عقله في النظر والاستدلال مرات عديدة، مما يدل على أهمية الحجة والبرهان في الخطاب الدعوي، وعلى وجوب حضور الحجة والبرهان لدى الداعية حتى يكون لدعوته أثر وقبول.

وبالنظر إلى ما ذكرنا سابقا نجد أن ذلك الاهتمام بالحجج والبراهين جاء على مستويات متعددة، بصورة مباشرة وغير مباشرة، ومدح وذم، على جهة الإنكار أو التقرير بدلالة الأمر أو النهي.. وهذا كله يؤشر إلى أنه ينبغي أن تكون هناك ضوابط وقيم للحجج والبراهين تنضبط بها لكي تؤدي غرضها، ولعل من أهم تلك القيم، ما يلي:

ـ استحضار الحجة والبرهان وفهمها ووعيها، ليقدر الداعية على إيصالها إلى الناس بصورة ملائمة، وهذا ما يمكن أن يستشف من قوله تعالى مثلا: ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ الأعراف: ٢ ، فكيف ينذر به وهو غير مستحضر له ولا واع(٢).

ـ تخير الحجة المناسبة للموقف والشخص والمكان والزمان، ولهذا تنوعت بينات الأنبياء وبراهينهم تبعا لذلك، كما ينبغي أيضا تخير الوقت المناسب لعرضها وبيانها.

(١). قد نفهم من هذا أن البينة فيها خصوصية في الفهم، والآية عمومية الفهم لأنها ملجئة للمعرفة فهي ظاهرة وقوية. والله أعلم.

(٢). انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٨٢).

ـ التلطف مع المدعوين حال عرض الحجج والبراهين، والتوكل على الله في إيقاع التأثير، وهذا ما يفسر لنا بعض السر من إضافة الآيات والبينات إلى الله تعالى ﴿ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٧٣ ، ٨٥، ١٠٥، و ﴿ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٣ ، و ﴿ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٢٠٣.. وهكذا. فالتأثير والتبصير والتذكير إنما هو من الله تعالى. وكذلك الأمر في إضافة الآيات إليه سبحانه.

ـ حسن العرض والبيان لإقامة الحجة كاملة، وذلك يقتضي الثقة التامة بها والحماسة لها وتنويع أساليب العرض، سواء كانت كلامية أو غير كلامية.

ـ ربط البينة والحجة بالهدف منها، فهي ليست مطلوبة لذاتها وإنما للوصول بالناس إلى قناعة معينة ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٧٣ ، ٨٥.

ـ مخاطبة العقل وتحفيزه لتقبل الخطاب وموضوعه، ولذلك ذم الله الذين كانوا عمين عن الآيات والذين كانوا غافلين عنها.. وفي ذلك تنبيه على أنه ينبغي أولا تحضير العقل المخاطب بالحجة والبرهان .

ـ مصداقية الحجة والبرهان، والبعد عن الخداع والكذب، لأن العقل السليم سرعان ما يكشف زيف الادعاء، ومن هنا أُتي سحرة فرعون لأن ما جاءوا به سحرا لا حقيقة له مع كثرته .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وفقت في إثارة هذا الموضوع المهم في قيم الخطاب الدعوي والذي نحن بحاجة كبيرة إلى مثله في هذا الوقت الذي يلاقي الإسلام هجمة شرسة من أعدائه مقابلة بجهل عريض من كثير من أبنائه، وليست أفكار هذا البحث ردة فعل دفاعية اعتباطية، ولكنها بيان لمنهجية يعتمدها الكتاب العزيز في خطاب المدعويين لا تتغير بتغير الظروف والأحوال إلا فيما يخص الأساليب التي لا تخالف الأصول الدعوية الثابتة.

وهذه القيم ومستوياتها ومقوماتها ينبغي أن يتضمنها الخطاب الدعوي الراشد، أو هي مقومات مهمة للخطاب الدعوي الراشد، ولست أدعي أني قد أتيت بما لم أسبق إليه ولكني أثرت الموضوع بطريقة أظن أننا نحتاج للسير عليها في هذا الوقت لتؤتي الدعوة ثمارها.. وقد يستخلص الباحثون كثيرا من القيم الدعوية الراشدة من سورة الأعراف ومن غيرها، كما لا أدعي أني مفسر للسورة ولكن إنما هي تأملات وخواطر يمكن للنص القرآني أن يحتملها من غير منع لغيرها من التأملات التي يمكن للنص القرآني تحملها كذلك.

وتأتي أهمية هذه المقومات من خلال سورة الأعراف بسبب أن السورة نزلت مبكرا من أوائل السور المكية، وهي أكثر السور المكية عدد آيات وأول سورة أثارت موضوع دعوة الرسل، بتلك الصورة على الأقل.

ولما كان البحث لا يتسع لبسط الكلام حول هذا الموضوع بأكثر مما هو عليه فإني أوصي بأمرين اثنين، هما:

- إنه ينبغي تعميم مثل هذه البحوث واستنباط قواعد الدعوة السليمة المؤثرة بحيث تكون في متناول الدعاة والناس، لأن كثيرا من هذه القيم قد لا تظهر لكثير من العاملين في الحقل الدعوي..
- ولأنه ليس كل داعية يعرف قيم الخطاب الدعوي المؤثر، والبعض قد يعرفها نظريا إلا أنه لا يستطيع ممارستها على الوجه السليم في الواقع، ولذلك فإن كثيرا من الدعاة بحاجة إلى حضور دورات مكثفة تخصصية تستهدف ترشيد الممارسات الدعوية وتقويمها والتدريب على الأداء السليم وفق أسس مدروسة محكمة.

والله أعلم وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**فهرس المراجع والمصادر**


. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

. أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ -٢٠٠١م .

. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص، سورية، وغيره، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

. البيان في عد آي القرآن، لعثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ ه .

. التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب إبراهيم ، دار الشروق، الطبقة الشرعية السابعة عشرة.

.التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

. التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ .

. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي - القاهرة ، د. ت .

. الجامع المسند، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ .

. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الكفوي ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د. ت .

. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .

. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية ، بيروت، د. ت .

. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. د. ت.

. تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. د.ت.

. تفسير الشعراوي ( الخواطر) لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، عام ١٩٩٧م.

. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام: ١٩٩٠ م.

. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

. حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د.ت.

. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)،للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٤ هـ .

. فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بالفلسفة التربوية المعاصرة، ماجد عرسان الكيلاني، ، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين، دار الشروق ، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

. في معاني كلمة " قِيَم" المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة . د. ت.

. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

. مسند الإمام أحمد، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون، إشراف :د/ عبد المحسن التركي، ط١، ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة .

. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

. معجم مقاييس اللغة ،لأحمد بن فارس لرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

. مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ .

. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. د. ت.

. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د. ت .